

وأتضع لبن الجاموسة أو قشدها في كرشها ، لأن العاقلة منهم ، هي التي تربط حجارا على بطنها ، فلا تأكل البيضة بل تدأويها إذا كسرت لتبيعها ، وتضع القرش على القرش ، للوفاء آخر العام بقيمة الايجار ، وإن إحداهن تفاخر بأنها تشق بطنها ولا تأكل شيئا من خير البيت .. إذا عرفت أن هذا دأب القرويات في القرى السعيدة الخارجة عن نطاق التفطيش ، فانظر أى عيشة يحياها أولئك الأشقياء الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة ؟

لا أستطيع بيان ذلك المستوى الذى يعيش فيه الأدميون كالجرذان الشقية العجفاء ، يقرضون العيش الأسود الحشن ، الذى يعاف أحد السادة أن يقدمه لكلب من كلابه ... فليس من سبيل إلى وصف هذه المعاش إلا أن تذهب بنفسك إلى إقطاعية من تلك الأقطاعيات ، فإنك حين تتجول فى أنحائها الواسعة ، بين تلك الهياكل الآدمية ! تخيل إليك ، أنك فى واد من أودية الفناء الموحشة ، وأن هذه الأشباح التى تراها غادية رائحة ، ليست إلا أرواحا لما يسكن أودية العدم ، تشككت هياكل عظمية ، غائرة العيون ، بارزة الوجنات والجباه ... تقوم سلسلة العنق فيها على ترقوتين ، أو خطين من العظام ، يحدثك بروزهما بكل ما وراء الشبح من بؤس وشقوة ، وذل ! ! ! أما عظام الصدر ، فهى ضلوع كل هيكل عظمى ، تستطيع أن تعدها من بعيد عظمة عظمة ...

وأخشى أن يجمع بي الوصف ، فأقول إن ذراعه النخيلة السوداء المعروقة العظام ، لا ينقصها إلا أن تمسك منجل الخراب الرهيب ، لتظن نفسك أمام هيكل متحرك مما اعتاد الفنانون أن يرسموه رمزا للعدم والخراب ، والفناء !!! .

أما التعليم ، فقد كان السادة إلى عهد قريب يقاومون إنشاء المدارس الأولية أو الإلزامية ، أما الابتدائية أو الثانوية ، فهي بطبيعة الحال ليست في حلم أحد . . . نعم يقاومونها لأن التعليم يفسد الفلاحين !!! وسيد التفتيش ليس رجلا من عامة الناس هين الكلمة ، أو هزيل المقام . . إنه ذو الكلمة النافذة ، والجاه العريض فلن تقام في أرضه مدرسة واحدة ، ما دام التعليم كالوباء يضرب بالفلاحين ! .

. . . فلما صار من الحتم إنشاء المدارس الإلزامية ، اتخذ السادة الأجلاء من نفوذهم على المدرسين والنظار ما جعلها قليلة الجدوى .

والكلام عن الجهل المطبق ، والظلمة الغليظة ، مما لا يستقل قلم بوصفه ، مما أوقع المساكين فرائس للخرافات ، ودجل المشعوذين وشباك المحتالين والطامعين . . . ولا أنسى يوما دعيت فيه إلى إحدى القرى — ولم تكن من قرى أحد التفاتيش — لافتتاح مسجد لها الجديد ، وكانت القرية تحت سلطان أسرة كبيرة ، منها النواب والشيوخ ، والموظفين الكبار وكان خطيب الافتتاح هو

داعية الإسلام في القرن العشرين غير مدافع ، فظل فضيلته رحمه الله يخطب عن مهمة المساجد ، والمحاريب ، والمنابر ، وأنها لم تكن للعبادة فحسب ، بل كم عقدت في المساجد من ألوية للجيوش وكم خرجت المحاريب من قادة للحروب ، وكم ارتقى المنابر من ساسة للشعوب . . . وأخذت أنظر في وجوه أهل القرية ، لأنظر فيها وقع هذا الكلام الجميل الذي يقال عن المساجد والمحاريب لأول مرة . . . فيالله لما رأيت ! رأيت عيوناً دقيقة غائرة كأنها عيون السحالف لا تطرف . . . وأفواها مطبقة ، ووجوها معروقة ، سمراء . مسفوعة بلفحة البؤس والبرد والحر ، قائمة على رقاب نحيلة تسكوم عليها جلدها الحشف ، كأنها أيضاً رقاب السحالف ، وما من أثر على أحدهم لفهم ما يقال ! ! العين جامدة منطفئة لا تبرق بومضة من ومضات الفهم . . . والأفواه عليها شفاة كشفاه الموق لا تختلج بما يدل على كيان حي متأثر بما يسمع ، والوجوه والأجسام مسمرة كأنها التماثيل . . . ! !

ونزل الداعية الرشيد وصلى بالناس إماماً ، ثم انقفل إليهم يعظهم عن الصلاة مرة أخرى ، بعد أن أدرك من عيونهم ، ووجوههم ما أدركت . . . وغير لغته فأخذ يتكلم « عن الحاصرة السوقى » ، « والحاصرة العمولة » ، والفرق بين « الحاصرتين » في « خيط الدوبارة » ، والسمار المعروف . . . الخ ، ليقس لهم على ذلك أن الصلاة أيضاً نوعان : نوع سوقى ، وآخر « عمولة » . . . وهنا فقط

ولأول مرة . . رأيت شفاه هؤلاء المساكين تنفرج وتبرق عيونهم
بلعة من الفهم وأراد الداعية الكبير أن يستطرد لبيان
الفرق بين الصلاة الجيدة والصلاة الرديئة ، ولكن ألفاظه القصيرة
والدو بارة ، لم يكن لها محل ، فعادت التمايل إلى ما كانت عليه ،
فظوى الرجل حديثه وانتهى

وأنت في غنى عن أن تعرف أن هذا كله يدور في بلاد النيل
أرض الخصب والنماء ، والذهب والفضة ، والخير الوفير ؛ وهو
من أعجب العجب الذي إن دل على شيء فعلى شذوذ صارخ
في الأوضاع .

فهؤلاء هم غارسوا الجنان والبساتين ، والحدائق ، ومغرقو مدن
مصر وأسواقها بالقهاقهة الكثيرة الشهية ، وهم محولو الأراضي
اليابسة ، والحقول الجرداء مروجاً ضاحكة ، تهتز بالحياة والنضارة
والثمر ، الغزير وهم منتجو الذهب والفضة ، من مياه النيل
الداكنة وطمها السخى الذي لا يمل السخاء ؛ فكيف يكون مصيرهم
هذا المصير ؟ وأى عقل يسيغ أن يكون نصيبهم هذا النصيب ؟
وأى حيلة ألقى بها الشيطان إلى أوليائه حتى غيروا خلق الله ومسخوا
بشرتهم إلى هذا الحد الذي غابوا فيه عن مستوى الإنسانية .
ونكتفي من ذلك بتفتيش سخا ، فهو ملك الحكومة ، لأملاك

للأفراد ، ونختاره أيضا لأن كلاما ألقى عنه منذ قريب في مجلس النواب ، فكان موضع دهشة ومثار استغراب من الوزراء أنفسهم .
كان هذا التفتيش من أملاك الخديو إسماعيل ... وظلت الأحداث تداوله بين جهات مختلفة ، فمن الدومين ، إلى مصلحة الأملاك . .. إلى أن استقر أخيرا في حيازة وزارة الزراعة .

ولا نعيد لك ما ذكرناه سابقا من أن الأهالي لا يملكون مثقال ذرة من أرض هذا التفتيش ، ويكفى أن تعلم أن عمدة القرى ، ومشايخها ، لا يملكون الأرض التي تقوم عليها دورهم .
ووزارة الزراعة في هذه الألوف المترامية الأطراف من الأفدنة تزعم أنها تجرى التجارب على الحيوان والدواجن ، وتستنبت مختلف النبات استكثارا للبذور الصالحة . . أما الحيوان الآخر الذي يسمى إنسانا ، فلا تجارب له ، ولا نصيب من عناية الوزارة

لقد أنشأت للحيوان : للجاموس ، والبقر ، والثيران ونحوها حظائر نظيفة ... تثار بالكهرباء ... وقد نشرت بصور للجاموس وهي تستحم بالماء النقي .. يغسلها به عمال موظفون لهذه الخدمة . . أما الآدميون فيسكنون المساكن التي حدثناك بعض حديثها فيما سبق ؛ ويشربون الماء العكر الملوث بمختلف جراثيم الأمراض ... نعم يشربون من هذا الماء ، ولا يسمح لهم أن يشربوا

من « حنفيات المياه » النقية التي هي وقف على البهائم وحضرات
موظفي التفتيش

ولا تظن ياسيدى أن هذا ضرب من المبالغات ، فهو بعض
الصرخة التي صرخها في البرلمان النائب المحترم الشيخ عباس
حمادة . . . بل إنه قال في مياه الشرب ، إن الأهالي في فترة الجفاف
وهي أربعون يوما ، يشربون من البرك ، لأن المياه الجوفية
مالحة . . كل ذلك ولا يسمح للأهالي أن يذوقوا مياه الحنفيات
النقية ! . . وقال حضرة النائب ، إن الحيوان هناك يحظى بعناية
الاطباء المختصين به . . أما الإنسان فهيهات ! .

والعمال في هذا التفتيش نوعان :

نوع اسمه « التلمية » وهم العمال الدائمون الذين يشتغلون
بلا انقطاع . . ويعمل الواحد طول العام ، مقابل ثلثي فدان ،
أو فدان يزرعه بدون إيجار .

ونوع اسمه « زهورات » وهو أحدث خدمة من السابق ،
وأقل أجرا إذ ليس له إلا نصف فدان .

وهناك فئة ثالثة اسمها « الخطرية » أي التي تعمل باختيارها
في أرض التفتيش بأجرة يومية .

أما « التلمية » والزهورات ، فيعملون طول العام . . ليس لهم

إجازة خميس أو جمعة . . . وليست لهم إجازة في موسم من
المواسم . . .

لقد قيل في مجلس النواب شيء من هذا فقال بعضهم إنه شيء
عجيب ، وكانوا كأنما يسمعون أفاصيص القرون الأولى . . . فتابعني
فيما أسرد عليك من قول الحق ، نقلا عن موظفي التفتيش
أنفسهم . . . ليست هناك أجازات في أى يوم من أيام السنة . .
ولكن إذا جاء أحد العيدين وصادف قلة فيما يطلب من العمل ،
فله يوم واحد ، أما إذا كانت الأعمال كثيرة — وما أكثر
ما تكون كذلك — فلا إجازة في عيد أو غيره !!

فإذا أراد التلى السعيد أن يزوج بنته ، أو ابنه ، أو ماتت
أمه ، أو زوجته ، بل إذا مرض . . . إذا انقطع عن العمل لشأن
من هذه الشؤون فلن يقال إنه في إجازة مرضية ، أو اعتيادية ،
بل متمرّد ، فيعاقب بأن يستأجر « نفر » من « الخطرية » يشغل
مكانه ، وتدفع له أجرته من خزانة التفتيش . . . ثم يثبت الكاتب
المختص تلك الحالة في ملف ذلك الذى مرض أو انقطع لموت
أمه . . . ويثبت المبلغ الذى دفع « للنفر الخطرى » .

ويتوالى العمل فى أرض التفتيش ، ويقتضى رى الأرض
أن يسهر المسكين أمام المياه ليلا ، يقيضى نهاره عاملا ، وليله
ساهرا لا يغفو إلا لما .

وتهجم أيام حصد محاصيل القمح والأرز ، والعمال الدائمون

لا ينهض عددهم بمواجهة ضرورة جمع المحصول بسرعة قبل تعرضه للتلف ، والتفتيش الحريص على مال الدولة ، لا يرضيه أن يستأجر « أنفارا من الخطرية » على حسابه لمعاونة الآخرين في جمع المحصول قبل تعرضه للتلف ، فيلقى الشيطان المريد إلى قلوبهم المقدودة من الصخر ، أن يقسموا هذه المساحات الشاسعة على التملية والزهورات ويفرضوا عليهم الانتهاء من حصدها في مدى معين فإن اتهموا فيها ونعمت ، وإلا فإن الوزارة ، أى الحكومة الرشيدة ، تستأجر « أنفارا من الخطرية » على حسابهم عقابا لهم على التأخير والإهمال ! ونصيب الرجل من هذه المساحات ، قدر من الأفدنة لا يستطيع — قطعاً — أن يحصدها وحده في المدى المضروب له ، وعليه أن يختار بين أن يستعين بزوجته وأبنائه ومن شاء من أصهاره أو تستأجر له الحكومة على حسابه رجلا من الخطرية .

ويتهى العام ، ويقدم موعد الحساب ، فيجد المسكين أن قد سجلت عليه الحكومة من الديون جنهين أو ثلاثة أو أكثر ، دفعتها « للخطرية » الذين قاموا بالعمل نيابة عنه وهو مريض أو ساعدوه في الفريضة الثقيلة التي فرضتها عليه في حصد المحصول... ولا يسمح له بنقل محصول فدانته ، أو نصف الفدان الذى خصص له ، إلا بعد أن يخصم قيمة الدين من هذا المحصول ! ! .
... ولك أن تسأل : ومن الذى يزرع له الفدان أو نصف

الفدان الذى تفضلت به عليه الحكومة ؟ وهو سؤال لا محل له ، لأن زوجته لم تخلق للبيت ، بل خلقت لسكل شىء . . . فهى التى تزرع له الفدان ، وهى التى تساعد فيه يصيبه من محنة حصد المحصول ، وهى تقوم بعد ذلك بخدمة البيت .

فإذا أردت أن تعرف سر فقر هؤلاء المساكين ، فاقدر له ماترى من أجر يومى حلال يحزى ما يقدم من عمل . . ثم اضرب ذلك الأجر فى ٣٦٥ يوما ، ولا أقول فى ٤٠٠ يوم . . ثم انظر الفرق الشاسع بين حاصل الضرب ، وإيجار الفدان أو نصف الفدان فإياك — إذا — تعرف سر هذا الفقر .

ودعنى أحدثك بعض الشىء عن الخطيرة ، إن منهم نساء ، ورجالا ، وفتيات وفتيانا . .

أما الفتاة التى لا جمال لها ، فعملها فى الحقل . . هكذا قرر حضرة النائب فى البرلمان . . وإذا كان الحقل من نصيبها ، فهى لا تعمل فيه إلا إذا خلا مكان أحد التلمذة بالمرض أو نحوه . . أى أن شأنها كشأن أى خطرى آخر ، لا يعمل فى أرض التفتيش إلا عند الحاجة إليه .

أما الجميلة ، فلا تعمل عند الحاجة . . لأن الحاجة إليها دائمة . . ولا تعمل فى الحقل ، بل تعمل فى بيت الموظف ، تخدم زوجته

إذ كان متزوجا ، أو تقوم له بمهمة الزوجة إذا كان عزبا ..
فإذا كان لها أخوة كانت سبب نعمتهم ، فالخطرى منهم يسرح
إلى الحقل دائما بدون انقطاع ، دون غيره ، وقد تختار له وظيفة
« خفير » وهى من الوظائف الممتازة فى التفطيش بالنسبة لهؤلاء
المساكين .. وكثيرا ما تحدث المآسى الفاجعة التى تبنى خاتمة
لهذه المهازل المجرمة القذرة .

ومن حق الخطرية أن يعلم الناس عنهم أنه لا عمل لهم إلا إذا
مرض مريض ، أو انقطع منقطع عن العمل ، فإذا لم يمرض
أحد ، أو لم ينقطع ، فلا عمل لهم .. وقد يمضى العام دون أن
يشتغل بعضهم إلا أياما معدودة .. ولهذا تراهم ينظرون إلى
التلمية كأنهم فى نعيم سابغ يحسدون عليه !

ومن الجرم الفاجر الذى تتردد العقول فى تصديقه ، أن
هؤلاء المساكين ممنوعون من العمل فى التفطيش المجاورة للمملوكة
لآخرين .. ففلان بك أو فلان باشا الذى يملك أقطاعات مجاورة
قد يحتاج فى بعض المواسم أو فى بعض الأحيان إلى الأيدي
العاملة .. ولكن الويل لمن تحدته نفسه من هؤلاء « الخطرية »
أن يقبل العمل هناك !.. يحذف اسمه من الديوان ، ويطرد من
دار الحكومة التى يسكنها ، ولا يبقى فى التفطيش لحظة واحدة ..
وذلك حتى لا يعرف هؤلاء التعساء معنى الأجور المجزية ، أو الشبهة
بالمجزية ، فتدخل الروح الشيوعية بين عمال التفطيش السعيد !!

ولقد حدثت أن أحد المسؤولين بتفتيش سخا رأى إحدى سيارات النقل التابعة لتفتيش الخاصة الملكية بكفر الشيخ ، رآها تدخل منطقته ، فلما علم أنها جاءت لتتنقل عمالا من « الخطرية » للعمل بتفتيش الخاصة ، أخذته العزة بالإثم . وطرده السيارة .. وامتزت بعدها بقليل ، الأسلاك ، ودقت الأجراس وذعر المفتش وقامت الدنيا وقعت ، واستثبتت الخاصة الملكية من هذه القاعدة التي لانعرف لها وصفاً يفي ببيان ما فيها من إجرام فاجر بشع !

ولقد ذكر النائب المحترم الشيخ عباس حمادة تعليقا على هذه الحالة أغنانا عن كل تعليق ، إذ قال : « ووزارة الزراعة تستأجر العمال بطريقة هي أجدر بالقرون الوسطى ، وعهود الاقطاع ، منها بعصر النور والحرية الذي نعيش فيه .. وقد قصدت الوزارة بهذه الطريقة ربط العامل بالأرض حتى يتسنى بذلك إذلال نفسه وقتل حريته ، تلك الحرية التي هي أولى حقوق البشر . ووسيلتها في ذلك تهديد العامل بالطرد من أطيان الوزارة بل من بلاد الوزارة بأسرها ، إذا بدرت منه أى هفوة مهما قل شأنها وهو في الحقيقة لم يرتكب إثما ، سوى أنه قدر له أن يخلق في تلك البلاد التعسة البائسة .

وقال في مكان آخر : « وهي — وزارة الزراعة — مع الأسف الشديد تعامل الأهالي معاملة تذكرنا بما كان يجري في القرون الوسطى ، وإذا كان التاريخ قد علمنا أن مصر كانت تعتبر

« جرننا ، فى عهد الرومان ، فان البلاد التابعة لوزارة الزراعة الآن تعتبر جرننا لإكثار البذور ، فأهالى تلك البلاد يكدون ويكدحون ليروا بأعينهم ثمرة جهدهم تعباً لتوزيعها على كبار الملاك .. وإن كان قد قدر لهم أن يتحملوا ذلك إلى الآن ، فإنى أعتقد أن الوقت قد حان لأن تنفجر نفوسهم ، وعندئذ لن تستطيع الحكومة أن تحول بينهم وبين ما يصبون إليه .. كأن هؤلاء يدفعون بتحملهم تلك المعاملة الشاذة القاسية ضريبة مجرد بقائهم فى أرض تلك البلاد ، وهى ضريبة فادحة ، أوجدت البطالة . ونشرت الفساد . وهوت بالأخلاق .. حتى أصبحت تلك الجهات كأنها مرجل ينذر بالانفجار وبالشر المستطير ، .. انتهى كلام حضرة النائب .

ولابد أنه وقر فى ذهنك الآن أن وزارة الزراعة بهذه الوسائل الشاذة القاسية ، قد استطاعت أن تضاعف من دخل الخزانة العامة ، وتساهم فى إمداد ميزانية الدولة بقدر محمود .. وذلك هو الطبيعى ، فالأرض أضحت بهذه الوسائل التى لم يسمع بها ، كأنها تزرع بجنانا .. ولكن من الفضائح المخزية أن هذه الأراضى تخسر ، ولا ترجى ، وتحمل الخزانة العامة أعباء خسائرها المريبة .. وذلك هو ما تضمنه تقرير اللجنة المالية بمجلس النواب ! وذلك هو ما حمل تلك اللجنة أن تقترح على الحكومة تأجير تلك الأرض للناس ، والعدول عن زراعتها .

وبعد فهذا لون من ألوان معيشة الفلاحين ، فى تفتيش من

التفانيش ، ولا نجزم بأن الحال في التفانيش الأخرى ، كهذه الحال ، فقد تكون أسوأ منها ، أو أهون ، وقد يخلو بعضها من ذلك . وقليل ما هي ، ولكننا نحب أن نلفت أنظار أولئك الجبهة المخدوعين بالشيوعية ، إلى مآسى ذلك التفنديش .

أليسوا يريدون تحريم الملكية الفردية ، وانتقال كل ملك للدولة ؟ أو ليسوا يريدون أن تقول الأرض الزراعية كلها إلى الحكومة لتديرها وتشرف عليها ؟ . إذا ، فهم يريدون أن نصبح جميعاً تملية ، ودهورات ، وخطرية ، ويريدون أن نعيش تلك العيشة التي يحظى فيها الحيوان بما لا يحظى به الإنسان !! .. ويريدون أن نصبح جميعاً تحت سلطان موظفي الحكومة يتصرفون فينا كما يتصرف تاجر الرقيق في رقيقه ، ويجعلون من بناتنا حظايا لفراش الفسق .

إننا نهيب بهؤلاء المخدوعين - إذا كانوا حقاً يريدون الإصلاح والعدالة - أن يتأملوا هذا اللون من ألوان الإدارة الحكومية ، ويقبسوا عليه المصير الذي يؤل إليه حال الناس ، حين تصبح الحكومة مالكة لجميع الأراضي !!

إن الظلم شيء .. وعلاجه بالجهل وقصر النظر والفوضى شيء آخر .. وما حسن أن نبادر بالتشكيك في نيات أعداء الشيوعية ، واتهامهم بأنهم أعوان الظلمة والرأسماليين .. إن أحداً لا يرضى بالظلم ، لا يرضاه لنفسه ولا لغيره ، ولكن من الظلم أن أعالج

الداء الحاضر ، بداء سيحل حتماً عن قريب أو بعيد ؛ وإن تحقق العدالة التي يشدها الخيرون ، العدالة الطبيعية القائمة على سنن الله ، وفطرة المجتمع ، لا يكون أبداً بالمسكنات الوقتية ، والحلول الآلية التي لا شيء فيها غير قصر النظر والغباوة !!

ونريد أن نسأل هؤلاء إذا صارت جميع الأراضي ملكاً للدولة — لا قدر الله — هل يطرأ تغيير على أهالي تفتيش سخا ؟ هل يصبحون مالكيين ؟ إن المساكين يريدون تغيير ما بهم بجذع الأنف ، ولو باستئجار الأرض — لا بملكها — فلا يظفرون أمّا نريد لهم أن يتغير حالهم إلى شيء من رفاهة البال ؟

قد يقول قائلهم إن نظام الإدارة سيضمن للجميع عدالة التوزيع والمساواة في خيرات الدولة إلى آخر ما يهرفون به ؛ فإذا كانوا يحسنون الظن ببطيخة الحكام حين يصبحون شيوعيين ، فلماذا لا يظنون بهم هذا الظن الحسن في غير الحكم الشيوعي ؟.. إن الإنسان هو الإنسان ، شيعياً كان أو رأسمالياً أو غير ذلك ولن يكون هذا الإنسان شيئاً فاضلاً أبداً إلا إذا غدا وجدانه ، محكوماً لا بقبضة القانون والإرهاب ، ولكن بسلطان المثل العليا ، وهيمنة فضائل العدل والمساواة والرحمة ، وتقدير كل من القيم الروحية والمادية قدرها الصادق الحق . وهذا ياقوم لن نجد له إلا في الإسلام . أو فذلونا على شيء خير من هذا نتبعه ، أو فقولوا أنكم تسيئون الظن بمثل الفضيلة والخير نفسها ، وأن الإنسان يجب

أن يظل ذلك المخلوق الوضع الذى يرتكس ويختبط فى تلك المجموعة الدنيئة من شروور الحيوانية المستهترّة .

إن تلك الجهود المجرمة التى تبذل لإثارة مشاعر الناس ، وإيقاظ الفتن ، وتجميع المخدوعين للشر والفوضى ، أولى بأصحابها أن يبذلوا بعضها فى التبشير بالخلق الحسن ، والإيمان الحق ، ومبادئ الخير التى بسطنا بعضها ، ونرجو أن يوفقنا الله إلى بسط بعضها الآخر ، ونسأل الله لهم ولنا سواء السبيل .

ونريد أن نهمس للحكومة ، هل قصدت الإبقاء على تفتيش سخا لتكون إدارته دعاية قوية مقنعة بسوء عواقب النظام الشيوعى ، أم أن ذلك جاء رمية من غير رام ؟ . وأيا كان الأمر فإنصاف هؤلاء المساكين ، وأمثالهم لن يترتب عليه إلا تقويض كل حجة وكل دعاية لمبادئ الهدم والتقويض والفوضى . فابدئ الإصلاح والإنصاف ، وطبق فى جد مبادئ العدل والمساواة !

صفات الزباجار الكبرى :

وقد اقترحت اللجنة تأجير الأرض للأهالى والعدول عن زراعتها ؛ ولا ندرى هل بعثها على هذا الاقتراح رغبتها فى إعفاء خزانة الدولة من تحمل الخسائر ، أم راعت إلى جانب ذلك معنى الرحمة بالأهالى ؟

إنها رمت بلا شك إلى تخفيف أعباء الخزانة .. فإذا كان من

قصدها التيسير على الناس كذلك ، فان الواجب كان يقضى عليها
بنصح الحكومة ، أن يكون التاجير منها للفلاح مباشرة ، دون
اللجوء إلى ما تتبعه في تفانيدها الأخرى من تأجيرها صفقة
واحدة لكبير من الأثرياء أو ذوى الجاه والنفوذ . . فان تأجيرها
للفلاح مباشرة هو عين الرخاء وسبيل من سبل علاج الفقر الذى
عز علاجه على الجميع !

إن عادة تأجير الأرض صفقات كبرى اتسعت وانتشرت
وصارت موضع الألم والشكوى ، والحسد والبغض والتمرد .
تعلن الحكومة أو غيرها تأجير إقطاعية صفقة واحدة ،
فلا يتقدم إلا كبار الأثرياء بطبيعة الحال ، أو من لهم بعض النفوذ . .
فاذا كانت أرضاً حكومية ، أو تابعة لوقف منسى ، أو مملوكة لجمعية
كبرى ليس فيها من يحاسب المتصرف الخطير ، ذا المنصب الكبير
أو الجاه الذى لا يقل عن جاه وزير . . إذا كانت الصفقة من هذا
القبيل أجرت ، بالممارسة ، أو أجرى لها مزااد صورى ، ليم العقد
لأحد الأنصار أو الأصهار ، أو الأبناء أو نحوهم من ذوى القربى
والمحسوبين على ذوى الحل والعقد ، بأرخص القيم . . ليؤجرها
من ، بطنه ، بقيمة فاحشة .

أما غير ذلك من الاقطاعيات فيؤجره ذووه بالإيجار الذى
يملا عيونهم ، ويرضى أطاعهم التى لا تكاد ترضى بشئ .

فإذا كتب عقد الإيجار ، واطمأن كل ما تزم إلى ما صار تحت يده ، وكانت الصفقة كبيرة ، أخذ في تقسيمها قطعاً صغيرة ، فهذه مائة فدان ، وتلك سبعون ، والثالثة خمسون ، والرابعة ؟ وهكذا ثم يعلن حضرته تأجير تلك القطع لمن يزيد !! وهى قطع تزيد على طاقة الفلاح العادى أن يخدمها ويزرعها ، فلا يتقدم الفلاح « المزاد » بل يتقدم قطيع من الأعيان العاطلين ، أو صغار الأعيان ، وبعض الموظفين متسترين وراء بعض أقاربهم ويزيد بعضهم على بعض . . . ويدخل الشيطان طرفاً ثالثاً فيذكر المنافسة ، وينفخ في الصدور بالعناد ، والعداوة والبغضاء ، فلا يكاد أحدهم يكف يده عن « المزاد » إلا بعد أن يرى أن لا خير له من ورائه !!

وتسأل : هل يقوم هؤلاء بزراعة الأرض التى استأجروها بالمزاد ؟

لا إن هؤلاء دخلوا تجاراً أو جلادين ، لا زراعاً !! ولو أن واحداً منهم دار بخله أنه سلبزم زراعتها ، لهرب منها مستعيذا بالله !! ولسكنه الريح الهين والمكسب الذى لا عناء فيه !! الريح الذى لا يكلفه إلا ساعة أو ساعتين يحضرهما فى جلسة « المزاد » ثم يخرج على أثرها حاكماً فى رقاب الاقطاعية !!

إن هؤلاء الغلاظ المتعطلين ، يعرض كل منهم نصيبه ليؤجره من « بطنه » الذى لا يشبع . . . يؤجره للفلاح المسكين . . . وقد

اعتاد الفلاح أن يهرب هذا الفظ الغليظ ، لنفوذ في القرية وغير القرية ، فلا بد من الخضوع لمشيئته ، وما مشيئته إلا القيمة القاسمة التي يفرضها على كل فدان .

ولا تستطيع الحكومة إذا كانت هي المالك ، أن تقول لكبار المستأجرين رفقا بمن ورامم ، فانها أجرت وليس لها إلا أن تقبض إيجارها ، وللمستأجر الكبير أن يفعل ما يشاء بالمستأجر الصغير !! إن هذه صفقات لا يراعى فيها في الحقيقة استئجار الطين ، ولكن استغلال من فيها من عباد الله المساكين .. ولو أنهم كانوا يريدون استئجارها للزراعة ، لما أغلوها على أنفسهم ولما حملوها هذا القدر من الإيجار . ولكن هذا لم يرد لأحدهم على بال . وإنما ورد عليه إن وراء هذه الأرض ناسا من بني آدم هم الذين سيكدون ، ويكدحون ، ويؤدون ما يملكه عليهم أو ما يفرضه من المكاسب لنفسه ، ولمن فوقه ، فإذا تبقى لهم شيء بعد ذلك منها ، وإلا فليس أحد مسئولاً عن رفاهتهم مادام السادة قد ذهبوا بما يشاءون من رفاهة ونعيم .

خبرني بربك : ماذا كان من هؤلاء السادة حتى يذهبوا بكل هذه المكاسب ؟ .

قالوا إنها تجارة مباحة ، كذبوا ؟ فالتجارة مجلوب يأتي ، أو صادر يذهب ، أو هي على كل حال مبادلة تقوم على تيسير المنافع وقضاء الخواص فأى شيء في هذه الصفقات الجائرة يجعلها

شبيهة بالتجارة ؟ .. وأى منفعة عادت على الفلاح من وساطتهم
بينه وبين المالك الأول .

أى منفعة غير الإرهاق ، والغم ، والفقر والعيش المتكد ؟

سبطان الالتزام :

هل أتاك يا أخى نبأ الالتزام ؟ ؟ إن الذين قرأوا التاريخ
يعرفون ما كان فى مصر أيام المالك والأتراك من نظام الالتزام ،
حينما كان يدفع شخص ما مبلغا من المال ، للجهات الإدارية ،
لتطلق له السلطان فى الإقليم الذى يريده .

والويل لأهل الإقليم بعد ذلك !! لقد كان هذا الملتزم فى
تلك العهود المظلمة يتحول إلى شيطان من شياطين الجحيم حين
يفرض على الناس ما يشاء لنفسه باسم الضرائب ؛ لقد كان هؤلاء
الشياطين لا يقفون فى جبايتهم عند حد . ولا يدعون وسيلة من
وسائل التعذيب الوحشى إلا حملوا الناس عليها . . . وما عهد
العدة والكرباج منا بمجهول . !

ذلك هو شأن الالتزام الذى عانته مصر المسكينة فى حقبة من
تاريخها فهل يا ترى لجأت الأشداق بهذا النظام فعاد يقرع أبوابنا
بقرونة السود ؟

أجل : إنه شيطان الالتزام يبعث فى صورة الصفقات الزراعية
الكبرى !! فالرجل هو الرجل يدفع المال للجهات الإدارية لتطلق

يده في إقليم ما ، أو جهة ما ، ولا فرق بين الرجائين إلا أن الملتزم كان يجمع باسم الضرائب ، وصاحب الصفقات يجمع باسم عقود 'الإيجار' .

ولا تظن يا أخى أن بشاعة الالتزام في العدة والسكر باج ، وإنما بشاعته في استنزاف معين الحياة من بنى آدم ، دون أن يعرف للاستنزاف حدود أو قيود !! أما العدة والسكر باج فما كانت إلا وسيلة الجباية والتحصيل يومئذ . ولو أنهم كانوا يعرفون غيرها من الوسائل ، أو لو أنهم كانوا يظفرون بما يريدون من الفريسة بسهولة لما جنحوا إلى أساليبهم الجهنمية . . . لم تفكر الحكومة في قيد تقيد به صاحب الصفقة ، فلها إيجارها تحسب وله بعد ذلك أن يفعل ما يشاء !! له أن يفعل ما يشاء ، والبوليس والقضاة والموظفون ، والمحضرون ، وعمد البلاد ، ومشايخها ، وخفراؤها كل أولئك وسائل معبأة للحصول والجباية . . . تجبى له مالا تجبى العدة والسكر باج ، وينجو به بعد ذلك أن يكون من طراز أهل العدة والسكر باج .

ترى لو كان نظام الالتزام حياة أ كان يذهب وحده بلعنة الأجيال دون هذه الصفقات ؟

ولقد رأيت أرملة قروية ، في خرقها الجرباء البالية ، ترفع وجهها إلى السماء ، وتدق بيدها على صدرها ، تدعو الله أن يخرب بيته ، وأن ينقم من ذريته ، وألا يبارك له في بدنه ، فلم أؤخذ بهول

الدعاء كما أخذت بهول القلب المحترق ولهيب الغيظ في صوت
المتهم المتهمة المظلوم : وسألت عن شأنها فقيل إن فلانا فرض
عليها كذا للقدان ، فلما انتهى العام لم يبق لها شيء من المحصول
بعد أداء الإيجار . . . وتسألني كيف يعيش أمثال هؤلاء ؟ ولو أنهم
كانوا يعيشون لأجبتك ! فسألني على التحقيق . . . أجبتك كيف
يموتون ، لا كيف يعيشون !

فألافة أن عندنا — كما عند غيرنا — طائفة تسمن وتنتفخ ،
لأنها تعيش على امتصاص ضحاياها . . . فما أشبهها بالعلق الأسود
الذي يعلق فيمتص دماء بعض المرضى حتى يسمن وينتفخ ،
مع فارق كبير أو صغير ، وهو أن العلق إذا شبع وانتفخ ترك
مريضه ثم سقط وهلك . أما هؤلاء فينتفخون ولا يشبعون ؛
ويعتصون الدماء ولا يهلكون . . . وهناك فارق آخر أن المريض
قد يتخلص من الدم الفاسد الذي امتصه العلق ، فيصح ويعتدل
مزاجه ، أما هؤلاء فلا يمتصون إلا عصارة الحياة النقية ،
فلا يتركون ضحاياهم إلا أجساماً مهزولة بين الحياة والموت ،
وهذا شر ما تبطل به الأوضاع في أمة .

إن الثروة بنت العمل ، وهؤلاء أرباب العمل ، فأين ما معهم
من ثروة ؟

إذا كانت الحكومة جادة في علاج الفقر والجهل والمرض ،
 فلتعلم أن النيل لن يحمل إلينا من الذهب أكثر مما حمل ، وعليها
 أن لا تسلط ذئابنا الجائعة على منتجى الذهب والفضة . ولتعلم
 أن كثيراً من الذين ينادون بعلاج الفقر والجهل والمرض ،
 هم أنفسهم سبب الفقر والجهل والمرض . بل إن النيل لو حمل
 لنا من سر الخصب أضعاف ما يحمل ، وأحيا لنا من موات
 الأرض والصحارى أضعاف ما تحت أيدينا ، لامتدت أذرع
 هؤلاء الشياطين ، وأخذت كل ما جاد به النهر ، وظلت بعدها
 أنشودة الفقر والجهل والمرض تذرع البلاد من أقصاها
 إلى أقصاها هائمة بين الأرواح التي تشكلت هياكل عظمية تحكي
 ما اعتاد أن يرسمه الفنانون رمزاً للفتاء ، والخراب ، والعدم !
 فباسم الغيرة على الحق والرغبة في رفاهة هؤلاء المساكين
 نلح على أولى الأمر أن يبادروا بأبطال هذه المخازي ! لا إحقاقاً
 للحق فقط ، ولا لإزهاقاً للباطل فحسب ، ولكن لأن الزمام أوشك
 أن يفلت ، وبدأت القريسة التعسة تتحول تحت هذا الضغط
 الدنيء ، إلى وحش شرس حقود

إن من امتهان العقول أن نقترح علاجاً لهذه الكوارث ،
 فالخلال بين ، والحرام بين ، وليس في الوقت متسع للهلل ، فخير
 لنا ولا متنا أن نفتتح العيون على حقيقة ما نتجاهله ، ونعالج الأمر
 على ضوء ما عرفنا من تجارب ، والسعيد من اتعظ بغيره ، ولن

يُعجز سادتنا أن يستجيبوا للرجاء ، فأنهار الذهب والفضة تجرى بين أيديهم ، وهم حينئذ لا يستجيبون لصدقة أو تطوع ، بل يؤدون حقوقاً إلى أربابها ، ويقنون أنفسهم وأهلهم ناراً وقودها الناس والحجارة ، ويقىمون المجتمع على أسسه العادلة الوطيدة : فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء ، وإن أدرى أقرب أم بعيد ما توعدون ، إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون ، وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ، قال رب احكم بالحق ، وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ،

كلمة أخيرة

ونورد هنا في هذا الفصل كلمة ندحض بها ما يفترى الآثمون على الإسلام من أنه دين تواكل وكسل وركون إلى الراحة من عناء العمل ؛ حتى أوشك كثير من الشباب أن يخدغ لضلالتهم ، ويصدق ما يرجفون به . .

العمل والزهد :

وما يدل على سوء نية هؤلاء المضللين أنهم تجاهلوا كل ما يعرف الخاصة والعامة من الآيات والأحاديث الواردة في الحث على طلب الرزق . وجهدوا أن يستروه عن العيون والأسماع ، ولم يظهروا إلا ما جاء عن الرضا بما قسم الله ، والكف عن التطلع إلى ما في أيدي الناس ، من زهرة الحياة الدنيا .

وراحوا يرجفون بين البسطاء بما جاء عن الزهد ، ويقولونه
بما لا يستقيم مع مقاصد الدين ، وليس له في أذهانهم ، أو في زعمهم
إلا أنه هو ترك العمل ، ونفض اليد من كل ما يصلح هذه الأرض
هذه هي الضلالة التي حاولوا أن ينفذوا بها إلى عقول بعض
الشباب ، ليسهل عليهم أن يضعفوا ثقتهم بدينهم ، ليوجهوهم بعد
ذلك إلى ما يريدون .

ونحب هنا أن نقرر أن الدين الذي جاء بالرضا ، والنهي عن
التطلع إلى مافي أيدي الناس ، هو هو الذي جاء بالعمل وحث
عليه ، وجعله قسيم الصلاة في قوله تعالى : « فإذا قضيت الصلاة
فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » ، وإذا نودى للصلاة
من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله ، وذروا البيع ، فالمرء على هذا
مقسم بين عبادة وعمل ، وسعى وصلاة ، ومسجد وسوق .

ولانتاقض أبدأ في الدين حين أمر بالعمل . وحين دعا إلى
الرضا بما قسم الله ، فإن الناس حين ينتشرون في الأرض لا يصابون
منها إلا بمقدار ما ترشحهم له قواهم البدنية ، أو مواهبهم العقلية ،
أو ملكاتهم الأخرى .. فمنهم من يعود ومعه القليل دون أن يظلمه
أحد ، ومنهم من يعود ومعه الكثير دون أن يغتصب حق أحد ،
فالرضا في هذه الحالة الطبيعية العادلة ، يغمر نفس صاحبه بطمأنينة
وسعادة ، تجعله ينسى ما بينه وبين غيره من فروق مادية .

هذا في الحال الطبيعية العادلة ، أما في غير الحالات العادلة التي يعتدى فيها القوى على الضعيف ، فيظلمه ويغتصب حقه ، فيعود الأول بالكثير ، ويثوب الآخر بالقليل ، فالرضا هو الجريمة ، لأنه سكوت عن المنكر الذي أمرنا بإزالته .

والدين حين يأمر بالثورة في هذه الحالة ، لا يدخل في حسابه قلة الرزق أو كثرته ، وإنما يهتم فقط بإزالة المظالم ، وإقرار العدالة . ليبنى كل عامل ثمرة عمله في الحياة ، ولتستقيم الحقوق على دستورها القويم العادل ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى .

وأمر الدين كذلك أن لا يمد الرجل عينه إلى مامع غيره ، لأنه يعود عليه بالحسرة والذلة .

يعود بالحسرة لأنه يرى ما يتقلب فيه غيره من نعيم ، وما يعانيه هو من حرمان ، فيصاب بالضجر والشقاء ، وتتغير في نظره مقاييس السعادة ، فيراها مادية سطحية ، لاروحية قلبية . . وهذا خطأ كبير لا يحب الدين أن يقع فيه أحد أو يشقى به . . وأما أنه يعود بالذلة ، فلأن الفقير حين يرى نعمة غيره ، ينكسر له ، ويذل طمعاً أن يصيب مما عنده ، أو يحظى لديه بمنزلة . . وهذا باب من الشر أيسر عواقبه أنه يخلق جيلاً من الضعفاء الأذلاء الذين يعيشون في كنف النفاق والاستخذاء .

ونادى الدين أخيراً بالزهد بعد أن فتح للناس آفاق المثل العليا ، وعرفهم أن تحصيل المال وحياسة المتاع ، إن هو إلا مرحلة

أولى في طريق السكال الإنسانى ، مرحلة أولى لها ما بعدها من
مراحل كثيرة ، ومنازل متعددة ، يتقلب فيها المرء ويتدرج نحو
الغاية العليا من كمال النفس وسمو الخلق وسعادة الضمير .
وإنسانية الإنسان إنما تقاس بما يقطع من منازل هذا
الطريق .

وما امتاز الإنسان من الحيوان إلا بقابليته للتطور فى مدارج
هذا السكال .

فإذا وقف شخص ما ، عند المرحلة الأولى ، فقد انقطع
فى الطريق وتخلف عن غايته ، ورفض مسامرة أسباب التطور
التي تخرجه من حظيرة الحيوان ، إلى رياض الإنسانية المهيبة
الكريمة ، والرضا بهذا التخلف ، إنما هو رضا بالمنزلة الدون ،
وقعود عما أعد له من منازل الفضل والسكال .

أرأيت إلى طالب العلم عندنا ماذا يكون له عندك من
النصح ، لو أنه انقطع باختياره عند مرحلة التعليم الابتدائى ،
وقعد عما ترشحه له مواهبه وثروته من استكمال مراحل
التعليم ؟ إنك إذا أردت أن تنصح ذلك الطالب ، فلن تكون
النصيحة بالغة نافذة ، إلا إذا زيننت له السكال العلى ، وزهدته
فى الاكتفاء بالمرحلة التي وقف عندها ، فإذا نفذت منه إلى هذين
الغرضين ، وجدته يعاف النقص فى التعليم ، ويزهد فى المرحلة
التي بلغها ، فلا يلبث أن يغادرها إلى ما وراءها .

والإسلام لم يسلك مع الإنسان إلا هذا المسلك الحكيم من النصيح والإرشاد ، فقد رأى أكثر الناس ينقطعون عن إدراك حظوظهم من كمال النفس وسعادة الروح ، ويرضون الوقوف عند مرحلة المتاع الأرضي ، والعيش الحيواني ، فلم يرض لهم البقاء في هذه المنزلة المبتورة الناقصة ، فزهدهم فيها ، وبعث همهم إلى ما هو أعلى .

وبدعى أن الزهد هنا ليس معناه الانصراف عن تحصيل المال ، وترك ما في الأرض من حطام ، وإنما هو التزهد في منزلة الاستمتاع الحيواني ، وزجر الهمة عن الاستغراق في الشهوات الأرضية التي يأتي بها المال ، ونحوه ؛ فإن وراء هذا من ألوان السكال وأنواع السعادة ، ما يجب أن تنبعث إليه الهمم والآمال . كما أن نصيحتك للطالب ليس معناها ترك العلم ، وإنما التزهد في الاكتفاء بالقدر الناقص منه .

نبي الإسلام هو العامل الأول :

وبما يقطع دابر هذه الفرية أن نبي الإسلام عليه السلام يعتبر من صميم العمال بسيرته الماثورة عنه من أولها إلى آخرها ، بل يعتبر العامل الأول .. !

العامل الأول عن تجربة ، ومزاولة ، ومعاناة .

العامل الأول عن معايشة ومخالطة ومعاطفة ووصافة .

العامل الأول الذى يجب على كل عامل أن يجعله قدوته فى عمله .. وخلقه ، وتدينه .. ورقة سجايه .

١ — فقد كان فى صباه راعى الغنم ، يرعاها لغيره على أجر يحصل له منه .. فهو من هذه الزاوية قدوة الرعاة .

٢ — وكان عاملا فى التجارة بمال غيره ، وله فى ذلك أمانته المشهورة ونشاطه الجهم ، وكفاءته الخصبية .. فهو من هذه الناحية قدوة عمال التجارة .

٣ — وكان تاجرا بماله بعد ذلك فكان نعم التاجر الصدوق .. فهو قدوة التجار .

٤ — وكان يرقع ثوبه بيده .. ويخفف نعله بيده .. وتلك سنة يطيب لها خاطر عمال هاتين الحرفتين .

٥ — وكان الخدم ربما يقصدونه عليه السلام ليعينهم على شراء ما كلفوا شراؤه من السوق ، فكان يذهب معهم ، وينفذ لهم ما يشاءون .

٦ — وكان جل أنصاره عليه السلام فى دعوته الكبرى ، من شباب العمال حدادين ، ونجارين ، وخياطين ، وجزارين ، وغير ذلك من أنواع الحرف والمهن ، حتى كان غلاظ المستكبرين يعيبون عليه أن الأساكفة من أنصاره ، ويستخرون به وبمن معه .

٧ — وكان عليه السلام ربما تحدث إلى العامل بما يجب إليه

حرفته ، وقد روى الإمام الغزالي ، أن عاملا جاءه فقال يا رسول الله : ما تقول في حرفتي ؟ .. قال وما حرفتك ؟ .. قال حائك .. قال حرفتك حرفه أئبنا آدم عليه السلام .. وكان أول من نسج ، وكان جبريل يعلمه ..

وكان يشجع النجارين ، ويذكر لهم ما يقيمون به في حرفتهم بمثل قوله عليه السلام : وكان زكريا عليه السلام نجارا .

ولا يستطيع العقل أن يتصور ، أن نبيا قضى صباه وشبابه ، وكهولته وشيخوخته في صميم محيط العمل ، يعمل معهم بيده ، ويشجعهم بقوله ، ويثني على حرفهم بالذي هو خير ، ويشرع لهم حقوقهم .. لا يستطيع العقل أن يتصور أن نبيا هذا شأنه كان يدعو أتباعه إلى اعتزال الحياة ، والفرار من محيط العمل إلا أن يكون عقل طفل أو معتوه .

السلام وتخدير الشعوب :

وما يرجفون به كذلك ، أن الأنبياء — ومنهم محمد طبعاً — إن هم إلا رجال اصطنعهم الرأسماليون لتخدير الشعوب والعمل ، وتسكينهم عن المطالبة بحقوقهم ! ! !

فهؤلاء المرجفون — عليهم لعنة الله — لم يكنهم التضييل بتحريف الكلم عن مواضعه ، فراحوا يلصقون بخلصة خلق الله أبشع التهم ؛ ويجردونهم من خصائص النبوة ... ثم من خصائص

الإنسانية الفاضلة . . بل من خصائص البشر العادى ، ثم ينزلون
بهم إلى أسفل درك ، فيجعلونهم مأجورين لأهل الترف والمال ..
مأجورين لهم فى الكذب ، والخيانة ، يوهون بهما على الشعوب
المظلومة ليصرفوها عن حقوقها ، ويحملوها على الرضا بما
هى فيه . . . ! ! !

وإن مجرد نسبة هذه التهم إلى هؤلاء الغر الذين أضاءوا الدنيا
فى أحلك ظلماتها ، ليحكم بكذب الذين افتروها وقذارتهم . . . فإن
الضمير الكريم ليقشعر من تصورهما ويستنزل لعنة الله على من
فكروا فى نسبتها إلى الخلاصة النقية من خلق الله فى هذه الأرض !
فهل تصدق هذه الفرية على إبراهيم ، وهو الذى ألقاه
الرأساليون وأنصاف الآلهة فى النار بعد أن حاج الذى قال أنا
أحيى وأميت فأخذه وألجمه وأخرس لسانه ؟
أو هل تصدق على موسى الذى نازل من قال أنا ربكم
الأعلى ؟

أو عيسى عليه السلام حين تأمر عليه الاستعمار الرومان مع
مع الخونة وتقديمه ليصلب ؟
أو هل تصدق على محمد وهو الذى رفع السيف مع من معه
من العمال والفقراء والمستضعفين فى وجوه كسرى ، وقىصر ،
وأبى لهب ، وأبى جهل وغيرهم من أئمة الجور والطغيان ؟

هل كان محمد عليه السلام يهب بهذه الكتيبة من العمال في
وجوه هؤلاء الطغاة لأنه يريد تخديرها لهم وتسكينها لإذلالهم ،
أعتبر هذه الحركات المسلحة تخديراً للعمال وتنوياً لهم عن حقوقهم ؟
إلا إن كانت هذه الغزوات التي خلد فيها العمال المؤمنون أروع المثل
في مكافحة الظلم والطغيان والاستبداد والأنانية والإباحية والإلحاد ،
إن كانت هذه الغزوات العالية المسلحة التي قادها النبي تعتبر تنوياً
للشعوب وتخديراً للعمال ، فإننا لندعو لحركاتنا الشعبية وهيئاتنا
العالية مثل هذا التخدير الذي اندكت به صروح الظلم ، وارتفعت
به ألوية العدالة الإنسانية في شعوب المشرق والمغرب لأول مرة
في تاريخ البشر .

عمال سودان :

إن تاريخ هذه الكتيبة المحمدية الموفقة يتولى الرد على هؤلاء
الخونة الذين استأجرهم دعاة الهدم والإلحاد .. يتولونه بتاريخهم
وسيرهم المجيدة اللامعة !! .. هم حفنة من العمال الفقراء منهم
خبيب بن الأرت الحداد ، وعبد الله بن مسعود الراعي ، وسعد
ابن أبي وقاص صانع النبال ، وبلال بن رباح العبد الخادم ،
وإخوان لهم على هذه الشاكلة الفقيرة المستضعفة .. ألا ما أشبه
الليلة بالبارحة !! كان المستكبرون يعدون عليهم ، ويظلمونهم
حقهم ، ويغرون السفهاء بهم لفقرهم وضعفهم ولمبادتهم القويمة

التي يستمسكون بها ويدعون الناس إليها ، كانت هذه الحفنة هي نواة الجماهير الضخمة الخصبية التي زعموا أن رسول الله يخدرها ويسكنها لمصلحة الرأسماليين ! ماذا فعل المخدر بهذه الحفنة ياهؤلاء ؟ لقد سجل القرآن ما كانوا عليه من هوان وقلة ثم ما صاروا إليه من جاه وعزة ، فقال سبحانه : « واذكروا إذا أنتم قليل مستضعفون في الأرض .. تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم .. وأيدكم بنصره .. ورزقكم من الطيبات لعلمكم تشكرون » .. لقد كانوا قلة فكثروا ، وكانوا مستضعفين فانتصروا ، وكانوا فقراء لاصقين بالتراب ففتحت لهم كنوز الأرض وخزائن الدنيا ؛ هذا ما سجله القرآن لهذه الحفنة العاملة ، وهو ما سجله التاريخ ، ولا حيلة في إنكاره ، أو إخفاء أنواره . وعهدنا بالمخدر المأجور ياهؤلاء أن يستولى على السكينة فينتهي بها إلى القلة ؛ ثم ينتهي بالقلة إلى الغناء . أما أن يستولى على القلة فتغدو بعون الله ، جمهرة غليظة ضخمة . ثم يسمى بعد ذلك مخدرا ، فتلك دعوى لا يستعلن بها إلا ممسوخ العقل ممسوخ الأدمية .

وعهدنا بالمنوم ، يستولى على الجموع القوية المخوفة ، فلا يزال يلعب بها لعبة ويبذر فيها بذوره ، ويسقي شعلها بالماء لا بالنفط حتى يصير البحر المتقد رمادا لا وميض فيه ولا خوف منه ، أما أن يستولى على المتفرقين فيجمعهم والضعفاء الهامدين فيجعل منهم الشهب المحرقة والسيول المتدفقة ، والقوة الخارقة التي تنتصر بالرعب على مسيرة شهر ، ثم يقال إن نومهم لأهل الظلم والبغي ،

فهى ضلالة لا تجد من يعلنها إلا فى هذا القطيع الشائه الممسوخ
وماذا كذلك فى تحذير رسول الله للجماعات ؟
إنه نوم الفقراء لأهل الغنى والمال ويكفيك على هذا برهاناً
أن قد شرع لهم حقوقاً مقدسة فى أموال هؤلاء الأغنياء ثم وكل
إلى السيف أن يستنقذها من رقابهم كلما جحدوها . . ونوم الفقراء
لأنه انتقل بهم من الفقر المدقع إلى القصور الشاحخة والثراء الواسع
على ما تثبته حقائق التاريخ
والآن هل هى معجزة غيرت حال هؤلاء غير الحال ؟ أو هو
سحر أظهرهم للناس فى صور الملوك والأقيال ؟ أو هى المصادفة التى
توافق صاحبها برمية من غير رام ؟
لم تكن معجزة ، ولم يكن سحر ، ولم تكن مصادفة ، ولم يكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقائد الذى يقود الشعوب على غير
ما رسم الله من سنن الوجود . . وسنن الوجود مقدمات ونتائج ،
وأسباب ومسببات ، وسبيل تفضى إلى عواقب لا محالة . . وقد
رسم له ربه فيما رسمه وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم فى الأرض وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم
من بعد خوفهم أمناً ، فإله لا ينهض إلى هذه الخلافة ، وماله لا يعلم
أصحابه أن يؤدوا مراسيم هذه السيادة ؟ والدرس كلستان خفيقتان
على اللسان ، ثقيلتان فى ميزان الحقيقة : الإيمان .. والعمل !
الإيمان بالمثل الفاضلة . . والمعانى الروحية الكريمة أو الإيمان
بإله واليوم الآخر .

ثم العمل النافع الذى يستمد روحه من هذه المثل فإذا اجتمع هذا الإيمان إلى العمل الطيب المثمر كانت النتيجة التى لا بد منها . . . النتيجة التى يرجوها ويحبها كل رجل نبيل فاضل وكل أمة نبيلة فاضلة ، خلافة فى الأرض . . . وتمكين لما تعتنق من مبادئ الحق أما الإيمان وحده فهو من أمانى العاجزين ولا نصبب لصاحبه إلا الحرمان والهوان .

وأما العمل وحده فهو سبيل الجحيم وسنة الشياطين . . . وما نظن جيلا من الأجيال عمل ما عملت أوروبا ، ولكن ما نظن جيلا من الأجيال كذلك بحق الله البركة من عمله وأذاقه البوال بما صنعت يده كما عهدنا بأوروبا ، ولا يزال الذين كفروا تصيهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم ، فلا بد للإيمان من عمل ، ولا بد للعمل من إيمان ، وهذا ما جاء به الدين وطبقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا القلة كثرة ، وإذا الضيق سعة وبسطة وإذا الضعف المهين قوة ومنعة وتلك سنة الله ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

أيها الناس لقد أمر الدين بالعمل وها أنتم هولاء ترونه يسمو بآمال أصحابه ، فلا يرضى لأحدهم أن تكون همته رغيفا يأكله ، أو لباسا يستره ، أو درهما يكثره — بل هيمنة على أرض الله ، وخلافة كريمة على ما فيها من كنوز وأموال ، وقيام على شعوبها بمبادئ العدل والخير والسلام . . . وليس وراء ذلك أمل لآمل ، والله العزة ولرسوله وللبؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون .

فهرست

إهداء الكتاب ٢ مقدمة الطبعة الثانية ٣ مقدمة الطبعة الأولى ٩

الباب الأول : مع الازل :

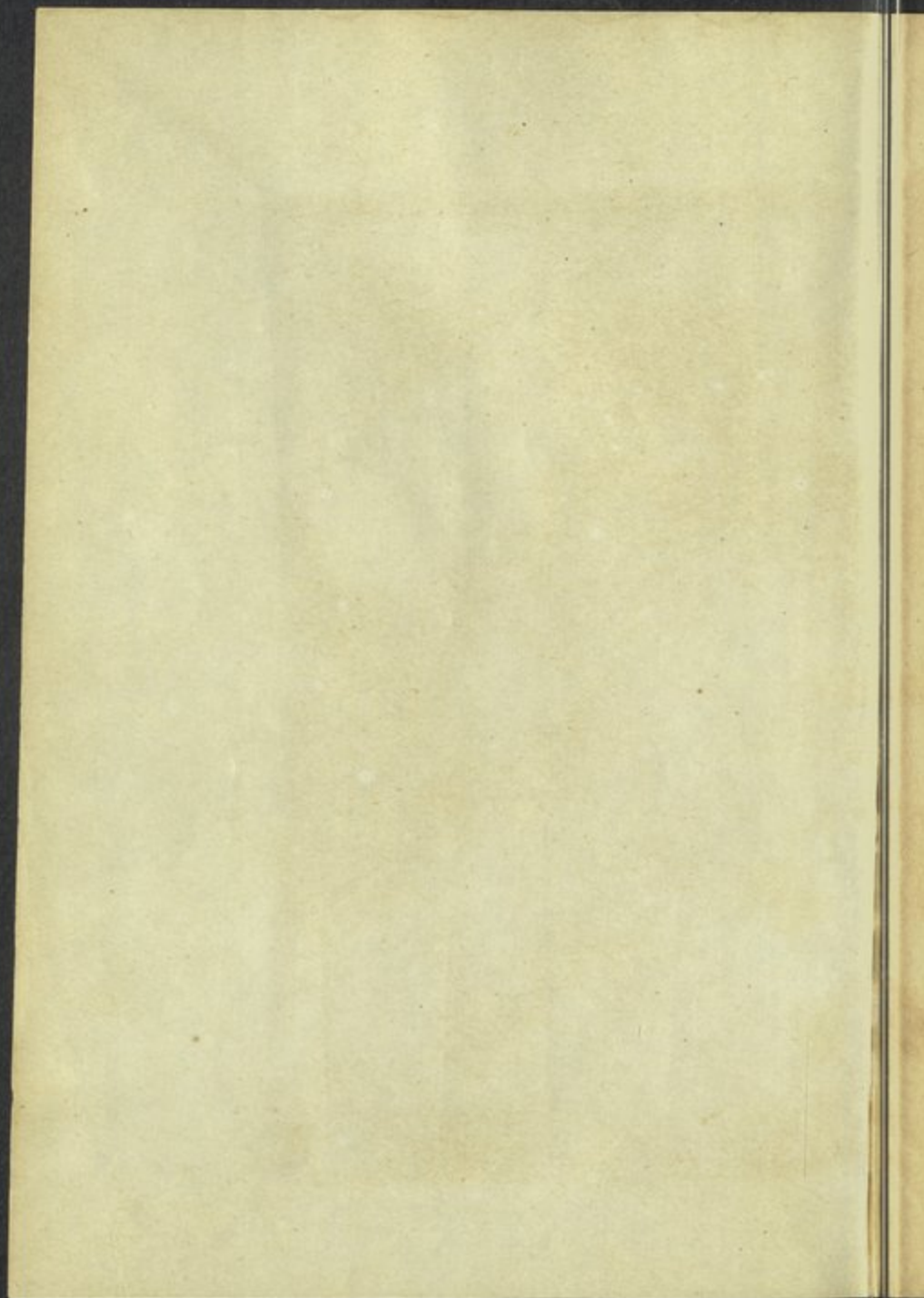
خلاصة وافية لمعنى الملكية وعناصر العدالة الاجتماعية ١٢ - ٣٤

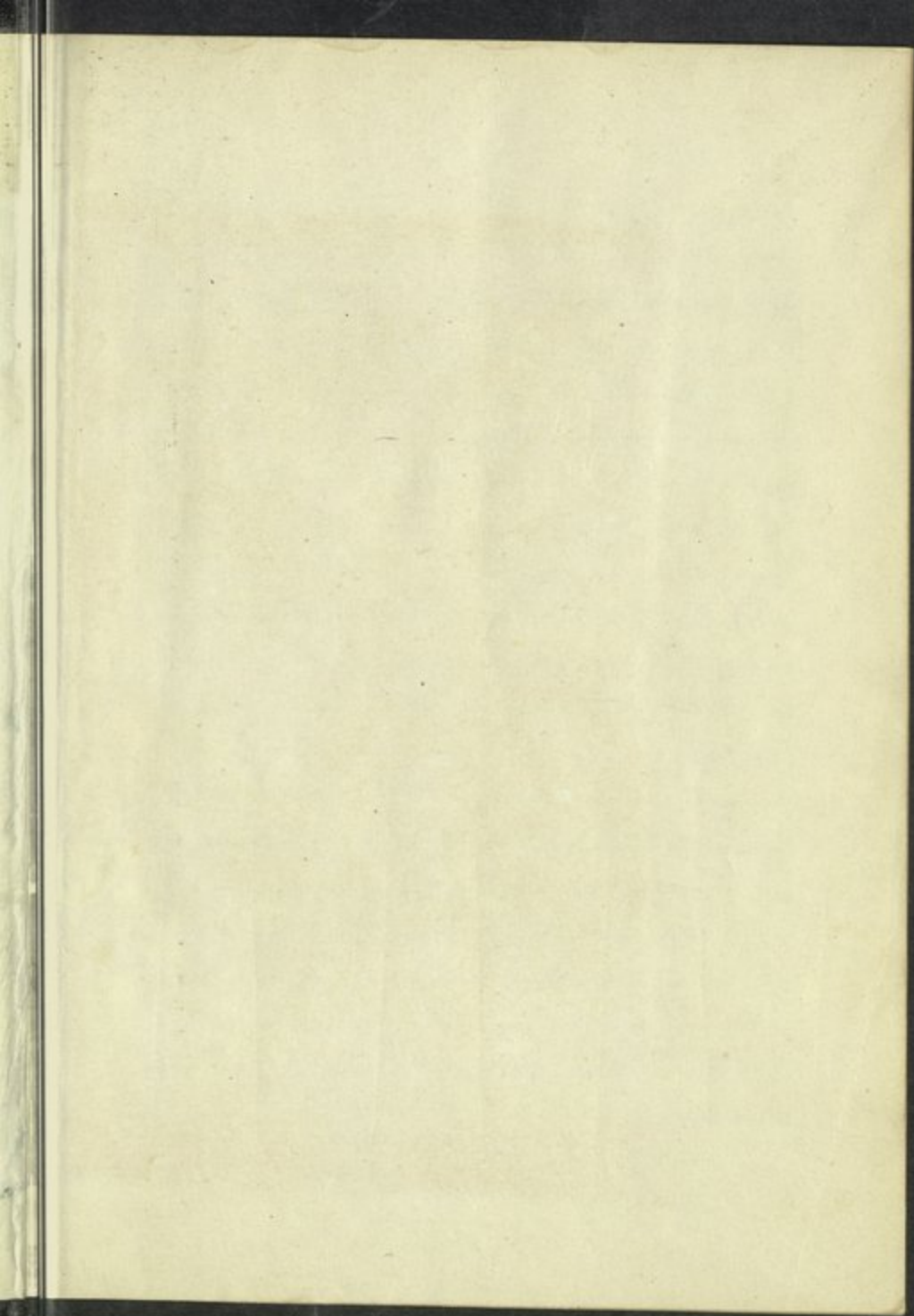
الله خالق الأرض . ليس لأحد منا فضل في خيرات الأرض فهى من الله للناس جميعاً . قصة تحريم الملكية والأجور عند الشيوعية . اصطدام هذا التحريم بغيرأثر البشر وسنن الإجتماع . يجب أن يكفل المجتمع لكل عامل أن يأخذ ثمر ما سعى . وجوب كفالة المريض ، والعاطل ، والشيخ القاعد ، واليتيم ، ومن تجعلهم النوازل في حكم غير القادرين . ملكيتنا للمال قائمة على ملكية الله له .

الباب الثانى : العمل والعمال (٣٦ - ١٥٨)

مائة وقانون ٣٥ - ٣٩ . ليست الأرض كالجنة يطاف فيها على أصحابها بالخير وهم على الأرائك . القرآن يقرر وجوب العمل .. النص على بذل أقصى ما فى الطاقة . جعل لكم الأرض ٤١، ٣٩ . الفرق بين الذى يخدم الأرض ، والذى جعلت الأرض لخدمته . بين العمران المادى والروحى . الدين يحث على العمل ٥٩ ، ٦٤ . نصوص من الأحاديث تحث على الزراعة ، والصناعة ، والتجارة . الرسول ينشئ سوقاً إسلامية لتحرير الاقتصاد الإسلامى من استغلال اليهود . الدين يقدر العمل ٦٤ ، ٦٦ . إذا عمل المرء ليكف نفسه فهو فى سبيل الله . عمارة الأرض من الشعائر الواجبة .

العمل .. هو ثمن الحياة ٦٦، ٧٠ . لصوص الحياة يأكلون ولا يعملون .
 العمل .. حق لكل إنسان ٧٠ ، ٨٠ مسئولية الدولة عن إيجاد عمل
للعاطل . رعاية الدولة للعمال تعلمهم حب الوطن . انصاف الآلة في مصلحة معمل .
 الرسول يقرر حق العاطل في العمل . مبدأ تقدير الأجور ٨٠ ، ١٠٢ .
 وجوب تعيين قيمة الأجرة . العمال الذين يعملون لحساب أنفسهم . حقوق
 العمال الذين يعملون مع صاحب العمل في بيته . الأخوة هي العلاقة الروحية
 بين العامل وصاحب العمل . العمل الشريف لا ينقص من قدر صاحبه
 ولو كان خادماً في منزل . موسى عليه السلام خرج من بيت مخدومه
 ليحمل رسالة التحرير . الحد الأدنى للأجر . مراعاة مستوى بيئة كل
 عامل في ذلك . لا يقل الحد الأدنى عن الكفاية من الطعام واللباس ،
 والسكن . الإسلام يكفل لمن لا يستطيع الزواج أن يتزوج . ويقرر حقوقاً
 أخرى . الإسلام وتحديد ساعات العمل . الإسلام والأجور الإضافية .
 آفات العمل ١٠٢ ، ١٤٧ . الإسلام يحارب استعباد العمال بأكل حقوقهم .
 عمر يضع قدمه على حدود الظلمة . شركاتنا وأسواق النخاسة . ماذا يلقي
 العامل في الشركات الكبرى ؟ . الشركات تجعل القوانين العمالية حبراً على
 ورق . أرباب الجاه وعضوية الشركات . التفاتيش أو أعشاش الشيوعية .
 معنى كلمة « تفاتيش » . عيشة البؤس والجهل والمرض في هذه التفاتيش .
 تفاتيش سخا نموذج حياة القرون الوسطى . الصفقات الكبرى لتأجير
 الأراضي . لا يستأجرون الأرض ، ولكن يتاجرون في الأحرار عقود
 الإيجار البيضاء . كلمة أخيرة ١٤٧ ، ١٥٨ . العمل والزهد . الإسلام
 وتخدير الشعوب .





330.192:K45iA:c.1

الخولس، البهي

الاسلام لا شيعية ولا رأسمالية، العمل

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01015431

American University of Beirut



330.192
K45iA

General Library

